العربي الجديد

هوامش

«أمودّو» برنامج تاريخيّ ثقافي تعرضه القناة المغربيّة الأولى، يخترق أماكن قصيّة ومجهولة في المغرب، تحتوي على مغارات وبقايا مدن وأطلال وأسرار تاريخيّة

صورةٌ كسرت معتقداتنا ويقينياتنا تجاه بعض المناطق المغربيّة وأخبارها (فاضل سنّا/فرانس برس)

أمودّو

رحلة بصرية مُختلفة في تاريخ المغرب

الدار البيضاء ـ **أشرف الحساني**

نادراً ما يعثر المرء على برامج فنية وتاريخية وأثرية داخل التلفزيون المغربي، تستحقُّ أنْ يُخصَّص لها بعضاً من وقته اليومي لمشاهدة مُنتَجها البصري. إذْ إنّ حجم التسطيح والتفاهة الغالبة على جميع هذه القنوات، يُصيب المرء بالنفور وعدم التفكير مُجدّداً في مشاهدة برامجها ومسلسلاتها وسهراتها الترفيهية التي يبثها التلفزيون الرسمي. لكن برنامج أمودّو» (تعرضه القناة المغربية الأولى) يقدّم تجربة مختلفة، لأنك تدري جيداً أنك مُقبل على مغامرة لا مثيل لها، وسفر مجهول في تخوم مغرب منسيّ وعميق ضارب في القدم. واستطاع بسهولة أنْ ينزع حب الجمهور، ويحجز له مكانة قوية في وجدان المُشاهد المغربي. والقناة الأولى نفسها فطنت مُبكراً إلى قيمة هذا المنتَج البصري الذي فاقت حلقاته 10 مواسم، وحصل من خلالها على جوائز عربيّة مُهمة. وعملت على تشجيعه ودعمه حتى يظلّ مُحافظاً على بريقه الفني ومكانته القوية على مستوى نسب مُشاهدات عالية داخل التلفزيون الرسمي.

غير أنّ برنامج «أمودّو» يبدو مختلفاً على مستوى أيقوناته البصرية وموضوعاته المعرفية، وبعيداً عن كل رسمية جافة، تعوق عمله وتفكيره. إذ يخترق أماكن قصيّة من المغرب المجهول وإلى مَغارات وبقايا مُدُنٍ وأطلال، لم يسمع بها المغاربة قط. وهذا الابتعاد عن الرسميات التلفزيونية المألوفة، صَوَّبَ إنتاج أنماط صُوَر جديدة ومشاهد غزيرة جديدة تدعو إلى التثقيف والاستمتاع وإعمال الفكر وحثّ جمعيات المجتمع المدني على ضرورة الانخراط في تكثيف الاشتغال على صيانة وترميم المباني والمواقع الأثرية والتعريف بها، مع القيام بالمزيد من الحفريات الأثرية المغربيّة، وضرورة الخروج من نموذج البعثات الأجنبية، ومنها الفرنسية، التي تُنقب عن التراث المغربي، والتي لا تعمل في الحقيقة، إلا على تكريس ثقافتها الأثرية والتاريخية والتنقيب عن التراث المغربي، لكن المُتصل والمُتقاطع تماماً مع وجودها الاستعماري في البلاد.

يعمل أمودو على تقوية المنحى نحو خلق حفريات مغربيّة تنقّب عن التراث المادي المطمور تحت أراضٍ في مدن نائية من المغرب العميق، بفعل كَوارث طبيعية، كالرياح والأعاصير والحرائق.

كل هذه الأسئلة عن مصير البحث الأثري في المغرب، تطفح إلى مُخيّلة المرء، وهو يُشاهد برنامج «أمودّو» المُمتع موضوعاً ومُعالجةً وجمالاً. إذ يعمل البرنامج على مدار سنوات على تكريس ثقافة البحث الأثري والسؤال والمُغامرة المدفوعة بهاجس الفضول العلمي، المُرتكز على حب التراث وضرورة العناية به. وسلّط البرنامج الضوء على مغرب آخر غير معروف، وأناس يُعانون في صمت بأعالي جبال الأطلس المتوسط والكبير.

الصورة في سلسلة هذا البرنامج الوثائقيّ، تُهدّم ولا تبني، تنتقد ولا تنصاع، تبوح ولا تُماري، تكشف ولا تُضمر، تنفي ولا تُثبت، حتى تغدو الصورة كأنّها قد كسرت جميع معتقداتنا ويقينياتنا تجاه بعض المناطق المغربيّة وأخبارها وآثارها. لكنها في الأخير، تُعيد توليف هذه الأشياء من جديد وفق معرفة علمية وحقيقية من خلال التنقيب على شكل صُوَر حيّة، تُظهرها الصورة بكل جمالية وفنيّة، وهي تهمُّ بسبر أغوار هذه الأماكن وتاريخها وأناسها وطرق عيشهم، بالكثير من الحرفية الموضوعية وجماليّات التصوير.

يظلُّ «أمودّو البرنامج الأول من نوعه في المغرب، الذي يصوّر من الجو عبر تقنية «الدرون» التي ميّزت البرنامج عن باقي البرامج الترفيهية الأخرى موضوعاً وشكلاً، بحكم الإمكانات الفنية التي تُتيحها هذه التقنية في التصوير وحرية التنقل والسفر داخل مناطق وعرة، لا تستطيع الكاميرا العادية أنْ تلتقطها، خاصة داخل بعض المغارات الأثرية في الجنوب المغربي التي تتطلب بعض الأدوات والتقنيات العالية الدقة للكشف عن قيمة الأثر وطبيعته وتاريخه وحقبته ونوعه ومواده، وهي أشياء لا يُمكن أنْ تتأتى إلا بوجود فريق علمي مُتكامل، وبدعم كبير من الجهة المُنتجة وتشجيع بعض الجهات المسؤولة عن قطاع السمعي البصري لدعم حلقات هذا البرنامج الوثائقيّ الذي يعشقه المغاربة ويُتابعونه بشغف منذ سنوات طويلة، بحكم المغامرات الأثرية المُتفردة التي طبعت البرنامج والتنوع والغنى الذي وَسَمَ حلقاته منذ بداياته إلى حدود الآن.

باختصار

القناة الأولى فطنت مُبكراً إلى قيمة هذا المُنتَج البصري الذي غطت حلقاته 10 مواسم، وحصل من خلالها على جوائز عربيّة مُهمة.

■■■

يكرس ثقافة البحث الأثري والسؤال والمُغامرة المدفوعة بهاجس البحث العلمي.

■■■

مشاهد غزيرة تدعو إلى التثقيف والاستمتاع وإعمالش الفكر وحثّ جمعيات المجتمع المدني على ضرورة الانخراط في تكثيف الاشتغال على صيانة المواقع الأثريّة.

وأخيراً

إبراهيم الخطيب... العملة النادرة بين المترجمين العرب

محمود الرحبي

لا يعرف القارئ العربي من أي لغةٍ تأتيه ترجمات المغربي إبراهيم الخطيب، فقد ترجم للأميركي بول بولز من الإنكليزية، ولخورخي لويس بورخيس وخوان غويتسولو من الإسبانية، وترجم للشكلانيين الروس ورولان بارت من الفرنسية. ولكن هذا القارئ يعرف أمرا أساسيا، فالخطيب يقدّم كل ترجماته بلغة عربية قوية وعذبة في الآن ذاته، تدلّ على استمتاعٍ ومنادمةٍ طويلةٍ وعشق نادر للغة الضاد.

تطوانيٌ من مواليد 1945، يذكّرك حين تلتقيه، بأناقته ولطفه، بعلماء الأندلس، وبآخر من تبقى من مترجمي مدرسة طليطلة، أولئك الذين عكفوا على نقل التراث العربي إلى العالم. ولكنْ على الرغم من ذلك تظل ترجماته انتقائية ونادرة، من النوع الذي يمكنك أن تحتفظ بها مطولا وأنت تعيد قراءتها، ليس فقط للتمتع بالمادة المترجمة، بل للتمتع، أساسا، باللغة العربية، الصافية مثل ماء زلال أو شهد عسل جبلي نقي ومصفّى، يقتات من رحيق زهور المعجم الثري للعربية. كما يمكنه أن يتمثل لك كأحد الرواة المجهولين لألف ليلة وليلة. أتذكّر أنه حدّثني، في آخر لقاء لي به، قبل جائحة كورونا، عن تفاصيل دقيقة من حياة بورخيس، من قبيل غرامه بالسينما، وكان يصطحب معه مترجما للصور، في حين هو يصغي للحوارات. وأن أصدقاء بورخيس صاروا يحرصون على أن يرتدوا ربطات عنق باللون الأصفر احتراما له، لأنه لا يرى من الألوان إلا هذا الأصفر!

أن تعرف أن مترجما ظلّ يقرأ لكاتب طيلة عقد قبل أن يدخل، متردّدا ومتوجّسا، غمار ترجمته سيُعطيك انطباعا أوليا عن أيّ «عملةٍ» من المترجمين هو إبراهيم الخطيب. أمام هذا، ستحجم عن التساؤل ما الذي جعل الخطيب يخصّ ترجمته لقصص للأميركي بول بولز بثلاث مقدمات؟ والحديث هنا عن مختارات قصصية تمتح مادتها من الفضاء المغربي، صدرت عن دار توبقال في الدار البيضاء، بعنوان «البستان»، أورد فيها الخطيب مقدّمة أولى في بداية الكتاب وثانية وثالثة في نهايته؛ وهي مقدّمات أشبهُ بأبحاث مكثفة، أحدها، مثلا، استعراض لثلاثة كتب صدرت بالإنكليزية عن هذا الكاتب الأميركي الذي اختار وزوجه، جين، مدينة طنجة ليعيشا فيها قرابة الستين عاما.

داوم إبراهيم الخطيب، إذن، على قراءة بورخيس عشر سنوات، قبل أن يغامر ويترجمه لقراء العربية للمرّة الأولى، من خلال مختارات «المرايا والمتاهات». وكان لترجمته صدى عربي واسع، بل كانت البوابةَ الأولى التي عرّفت قراء الضاد بكنوز أعمى بوينس آيريس. ثم في العام 1992 ترجم له «الدنو من المعتصم» الذي سنرى فيه مدى تأثر الكاتب الأرجنتيني بالتراث العربي وشغفه به، إذا علمنا عن التحول الكبير الذي أحدثه كتاب ألف ليلة وليلة في مسيرته الإبداعية... وقد صدر أحدث عملين لإبراهيم الخطيب عن منشورات مجلة الدوحة، أحدهما «يوميات طنجة» لبول بولز والثاني «مع بورخيس» لألبرتو مانغويل.

استحضارا لما سبق، سيكون تحصيلَ حاصل أنّ الخطيب لا يترجم ميكانيكيا، وإنما بلمسةٍ إبداعيةٍ، وبعشق وإحساس تنمّ عن ذائقة أدبية فريدة. لذلك تخرج ترجماته أشبه بتُحفٍ فنيةٍ، يمكن الاحتفاظ بها مفتوحةً لإعادة قراءتها في كل مرة من دون ملل أو تبرّم.

بدأ أولى تجاربه في الترجمة في أوائل السبعينيات،

> لا يترجم ميكانيكياً، وإنما بلمسة إبداعية، وبعشق وإحساس تنمّ عن ذائقة أدبية فريدة

حين ترجم للسّوريالين الفرنسيين ولفيدريكو لوركا. ثم، منذ أواسط السبعينيات، بدأ يهتمّ بترجمة مؤلفات النقد الأدبي، فترجم للشكلانيين الروس مقالاتٍ كان ينشرها في مجلة أقلام، ثم في مجلة الثقافة الجديدة، قبل صدور كتاب «نظرية المنهج الشكلي» (1982) في بيروت، وبعده «النقد والحقيقة» لرولان بارت. في خضمّ ذلك، ظل يشتغل على قصص بورخيس، مع نشر بعض ترجماته لها في صحف ومجلات، قبل أن تصدُر ترجمته «المرايا والمتاهات». وفي الثمانينيات، شرع في ترجمة قصص بول بولز، إلى جانب نشر مقالات عنه في صحيفتي العلم والاتحاد الاشتراكي (المغرب) ومجلتي اليوم السابع، الأسبوعية التي كانت تصدر في باريس، والكرمل الفصلية. وبعد الثمانينيات، صار غويتيسولو الذي يعرفه شخصيا، كما يعرف بول بولز، في قلب اهتماماته. وكان من ثمار ذلك ترجمته ثلاثا من رواياته، «الأربعينية» و«حصار الحضارات» و«أسابيع الحديقة»، إضافة إلى مختارات من مقالاته «علامات هوية». وخلال فترة الحجْر الصحي، أعدّ كتابا يضمّ مقالات أدبية لغويتيسولو يعتزم إصدارها، وضع لها عنوان «أوراق من شجرة الكتابة». لغويتيسولو يعتزم إصدارها، وضع لها عنوان «أوراق من شجرة الكتابة».

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**